الفصل التاسع والعشرون

لعبة الاستقلال المالي

كنتُ فقيراً، وكنتُ غنياً. صدّقني أن الغنى خير من الفقر.

صوفي توكر

بعد أن وفّرتَ الاحتياطيات المالية الكافية لمدة ستة أشهر (الفكرة رقم 27)، وادّخرتَ 20 بالمئة من دخلك بشكل منتظم (الفكرة رقم 28)، فقد آن الأوان للعبة الاستقلال المالي. أرجو ألاّ تتّهمني الآن بالجنون لأنني قلت "لعبة". انتظرْ، وسترى. إن لم تقم حتى الآن بالخطوات الأساسية، فقد يبدو لك هذا الفصل بدايةً غير ذي أهمية. في هذه الحالة أقترح عليك إرجاء قراءة الصفحات التالية، والعودة إلى هذا الموضوع بعد أن تقوم بتلك الخطوات. الاستقلال المالي يعني أنك تمتلك من المال أو من مصادر الدخل الأخرى ما يكفي لجعلك غير مضطر إلى العمل، وإنما باستطاعتك العيش من الفوائد. وإذا زاولتَ العمل، فلا لشيء إلاّ لأنك ترغب في ذلك. عليك أن تلعب هذه اللعبة ذات مرة فعلاً. فأنت لن تخسر شيئاً أكثر من ديونك المتراكمة.

يجب أن تكون بدايةً على بيّنة من أن كل إنسان (وأنت أيضاً بطبيعة الحال) يمكنه أن يلعب هذه اللعبة، ولهذا الغرض ليس من الضروري أن يكون دخلك مرتفعاً، أو أن تولَد وفي فمك ملعقة من ذهب، أو حتى أن تربح في اليانصيب. في الخطوة التالية عليك أن تفكّر ملياً كم تحتاج من المال من أجل الاستقلال المالي. يرى معظم الناس أن الأمر بحاجة إلى الملايين، ولكن هذا غير صحيح. فأنا لا أقصد هنا حياة اليسر والبحبوحة. إن لم تكن مطالبك عالية السقف بنوعٍ خاص، يمكنك أن تعيش في مستوى جيد تماماً بـ 260000 يورو. فهذا المبلغ يدرّ

عليك شهرياً مبلغاً محترماً من إيراد الفوائد. وإذا قرّرتَ أن تعمل مع ذلك، أمكنك بالطبع رفع مستوى معيشتك بشكل كبير. إن لم تقتنعْ بهذه الفكرة، أنصحك بقراءة كتاب *المال والحياة* لهانِكِه فان فين وروب فان إيدن. حيث تجد فيه بعض المرتكزات النظرية الجديدة في موضوع "المال".

ما إن توفّر الأساس لاستقلالك المالي، حتى تنفتح أمامك إمكانات جديدة عديدة. وسرعان ما يغدو لديك دخل كافٍ لاستثمار أموالك بشكل مربح. أنا، على سبيل المثال، أنتجتُ برنامج عونٍ ذاتي على شريط فيديو، لم أكن لأستطيع تمويله لو لم يكن لدي الاحتياطيات المالية الموافقة. وفي هذه الأثناء أثبت شريط الفيديو هذا أنه مصدر دخلٍ جيد. اضطررت إلى توظيف عملي مرة واحدة فقط، وأكسب الآن من كل شريط فيديو يُباع، بل أكثر من ذلك: الأشخاص الذين يثير الشريط إعجابهم، غالباً ما يلتحقون بإحدى حلقاتي الدراسية، أو يستخدموني كمدرّبٍ شخصي.

حينما تمتلك المال، تتغيّر نظرتك إلى الأمور أيضاً! ويأخذ تفكيرك أبعاداً مختلفة كلياً. ولما كانت أفكارنا تقرّر أفعالنا - تذكّرْ هذا دوماً -، فسوف يتغيّر شيء ما. (ولكن حذار من برامج التسويق متعدّدة المستويات، التي تزعم أنها تجعلك مليونيراً بين ليلةٍ وضحاها. فمعظم المشتركين في هذه البرامج أشخاص مدينون ووضيعو الأجور. تستند هذه البرامج عادةً إلى يأس البشر وطمعهم).

لننطلق من أنك تحتاج إلى 260000 يورو من أجل استقلالك المالي. من أين لك أن تحصل على هذا المبلغ؟ لو قُيِّضَ لك أن تدّخر 100 يورو يومياً، أو أن تكسبها بشكل إضافي، لاستغرق جمع هذا المبلغ عشر سنوات، وحتى من غير أن تعمل في نهايات الأسابيع. باستطاعتك، على سبيل المثال، أن تزاول عملاً حرّاً إلى جانب وظيفتك، أو أن تتولّى وظيفةً إضافية، أو أن تواصل تعليمك وتبحث عن وظيفة ذات مرتّبٍ أعلى. ولكن باستطاعتك أيضاً أن تخفض نفقاتك وتستثمر المال المدّخَر. وإذا أردت بلوغ الاستقلال المالي في زمنٍ قياسي، عليك القيام بكل هذه الأمور في وقتٍ واحد. المهم في الأمر أن تدّخر المال بانتظام. فمفتاح النجاح يكمن في الادّخار المنتظم.

افتحْ حساباً خاصاً، ولا بأس في أن تطلِق عليه اسم: "حساب الاستقلال المالي". حتى إذا كنت غير قادر على ادّخار أكثر من 10 يورو يومياً، العبْ لعبة الاستقلال المالي هذه. وبعد أن تبدأ، سوف ترى أنك ستتفتّق عن أفكارٍ جديدة

باستمرار. تذكّرْ دوماً أن أسرع طريقة لتوفير المزيد من المال هي تقليص النفقات. ليس من الضروري إطلاقاً أن تكسب المزيد من المال. الادّخار أشدّ فعّاليةً عادةً. ماذا عن نفقاتك الثابتة؟ إحدى زبوناتي كانت تسكن مع زوجها في منزلٍ ضخم، وفي إطار إجراءاتهما الادّخارية قاما ببيع المنزل، وبحثا عن منزلٍ أصغر، وبذلك وفّرا مبلغاً من المال من أجل النفقات الجارية. إذا صغّرت نفسك قليلاً، لا يعني هذا بأيّ حال من الأحوال أنك تراجعت. فقد شعر الاثنان بأن حالهما أفضل بكثير في المنزل الجديد.

لا تُجهِدْ نفسك بالتفكير، إن لم تستطعْ ادّخار 100 يورو كل يوم. لا بأس في أن تبدأ صغيراً. كفّ عن تناول الطعام خارجاً في استراحة الغداء، واصطحب زوّادتك من المنزل، وضعِ المال الموفَّر في حساب استقلالك المالي. فالمبالغ الصغيرة الكثيرة تقود إلى مبلغٍ لا يُستهان به في نهاية المطاف.

والسارّ في الأمر أن بإمكانك قطف ثمار عملك قبل أن تصل إلى الاستقلال المالي؛ إذ يكفي أن تعرف أنك على خير طريق نحو الاستقلال المالي، حتى تتقلّص همومك ويتراجع قلقك على المال العزيز. ولا تعود تخشى الافتقار في شيخوختك. وتحافظ على هدوئك في الأزمات، لأنك تمتلك احتياطياً مالياً صلباً. وهذا بالتحديد يؤدي إلى انفتاح إمكاناتٍ وفرصٍ جديدة أمامك باستمرار. ويمكنك أن تواجه عملاءك وربّ عملك بمزيد من الثقة بالنفس، ذلك أنك في غنى فعلاً عن وظيفتك أو عن الطلبية. وأنت تعمل لأن العمل يروق لك ويسلّيك. لا يمكن أن تخسر شيئاً على الإطلاق في هذه اللعبة.